جَمِيعاً ﴾[١] وللإحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره ، وهو من هَداها ، لأنّ الهداية هي حياة الأبد ، ومن سمّاه الله حيّاً لم يمت أبداً ، إنّما ينقله من دار محنة إلى دار راحة ومنحة .

وأمّا ماكان من الخطاب بالإنفراد مرّة ، وبالجمع مرّة ، من صفة الباري جلّ ذكره ، فإنّ الله تبارك وتعالى اسمه ، على ما وصف به نفسه بالإنفراد والوحدانيّة هو النّور الأزلي القديم الّذي ليس كمثله شيء ، لا يتغيّر ، ويحكم ما يشاء ويختار ، ولا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه ، ولا ما خلق زاد في ملكه وعزّه ، ولا نقص منه ما لم يخلقه ، وإنّما أراد بالخلق إظهار قدرته ، وإبداء سلطانه ، وتبيين براهين حكمته ، فخلق ما شاء كما شاء ، وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من اُمنائه ، وكان فعلهم فعله ، وأمرهم أمره ، كما قال : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢] وجعل السماء والأرض وعاء لمن يشاء من خلقه ، ليميز الخبيث من الطيّب ، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها ، وليجعل ذلك مثالاً لأوليائه واُمنائه ، وعرّف الخليقة فضل منزلة أوليائه ، وفرض عليهم من طاعتهم مثل الّذي فرضه منه لنفسه ، وألزمهم الحجّه بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحّده ، وبأنّ له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله ، فهم : العباد المكرمون ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] هو الّذي[٤] أيّدهم بروح منه ، وعرّف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله : ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[٥] وهم : النعيم الذى يُسئَل العباد عنه ، لأنّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتّبعهم من أوليائهم» .

قال السّائل : من هؤلاء الحجج ؟

قال عليه السلام : «هم رسول الله ، ومن حلّ محلّه من أصفياء الله الّذين قرنهم الله بنفسه ورسوله ، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الّذي فرض عليهم منها لنفسه ، وهم ولاة الأمر الّذين قال الله فيهم : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وقال فيهم : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾» .

قال السائل : ما ذاك الأمر ؟

---

(١) المائدة ٣٢.

(٢) النساء ٨٠.

(٣) الأنبياء ٢٧.

(٤) في بعض النسخ «وهم الّذين».

(٥) الجن ٢٦ ـ ٢٧.

almawaddah.be

قال عليه السلام : «الّذي به تنزّل الملائكة في الليلة الّتي يفرق فيها كلّ أمر حكيم من : خلق ، ورزق ، وأجل ، وعمل ، وعمر ، وحياة وموت ، وعلم غيب السماوات والأرض ، والمعجزات الّتي لا تنبغي إلاّ لله وأصفيائه والسَفَرة بينه وبين خلقه ، وهم وجه الله الّذي قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾(١) هم بقيّه الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ومن آياته : الغيبة والإكتتام عند عموم الطغيان وحلول الإنتقام ، ولو كان هذا الأمر الّذي عرّفتك بأنّه للنبيّ دون غيره ، لكان الخطاب يدلّ على فعل ماض ، غير دائم ولا مستقبل ، ولقال : «نزلت الملائكة» و«فرّق كلّ أمر حكيم» ولم يقل : «تنزّل الملائكة» «ويفرق فيها كلّ أمر حكيم» وقد زاد جلّ ذكره في التبيان وإثبات الحجّة بقوله ـ في أصفيائه وأوليائه عليهم السلام ـ : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ تعريفاً للخليقة قربهم ، ألا ترى أنّك تقول : «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قربه منه ؟

وإنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز الّتي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه ، لعلمه بما يحدّثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماء حججه منه ، وتلبيسهم ذلك على الاُمّة ليعينوهم على باطلهم ، فأثبت به الرموز ، وأعمى قلوبهم وأبصارهم ، لما عليهم في تركها وترك غيرها ، من الخطاب الدالّ على ما أحدثوه فيه ، وجعل أهل الكتاب المقيمين به ، والعاملين بظاهره وباطنه من : شجرة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾(٢) ؛ اي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت ، وجعل أعدائها : أهل الشجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ، فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات الّتي بيّنتُ لك تأويلها ، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه ، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ ﴾(٣) أغشى أبصارهم ، وجعل على قلوبهم أكنّة عن تأمّل ذلك ، فتركوه بحاله ، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله ؛ فالسعداء ينبهون عليه ، والأشقياء يعمون عنه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ثمّ إنّ الله جلّ ذكره لسعة رحمته ، ورأفته بخلقه ، وعلمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كتابه ،

---

(١) البقرة ١١٥.

(٢) إبراهيم ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) الأنعام ١٤٩.

almawaddah.be